أهمية الحوار في بناء السلام
المعوقات والأهداف السياسية وعوامل النجاح

أ.م.د. محمد حسن دخيل
كلية العلوم السياسية - جامعة الكوفة

أهمية الحوار في بناء السلام
المعوقات والأهداف السياسية وعوامل النجاح

أ.م.د. محمد حسن دخيل
كلية العلوم السياسية – جامعة الكوفة
Email:muhammedh.dakheel@uokufa.edu.iq

الملخص:

يعدّ الحوار الطريق الأمثل لحل اشكالية تضادّ الأفكار وتصادمها ، إذ يمثّل سبيلاً للتغلّب على الحروب والتوترات ، وهو بالتالي يساهم في توفير اسس الديمقراطية ووسيلة لحلّ المشكلات السياسية . تعالج هذه الدراسة : أهمية الحوار ودوره السياسي ، انقطاع الحوار وعوائقه ، شروط الحوار وعوامل نجاحه ، والأهداف السياسية للحوار .

Abstract:

The dialogue is considered an ideal instrument for the harmonize the conflicting ideas, it is a way for dissolving wars and tensions, so it contributed to establishing democracy and solving political problems.

This study shed light on the importance of the dialogue and its political role, in term of obstacles of dialogue, condition of a successful dialogue, and political aims of dialogue.

المقدمة

يمثّل الحوار محادثة بين شخصين أو فريقين أو أكثر في موضوع معين ، لكلٍّ منهما وجهة نظر خاصة به ، هدفها الوصول إلى الحقيقة أو إلى أكبر قدر ممكن من التطابق في وجهات النظر ، بعيداً عن أي خصومة أو أي تعصّب مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة ولو ظهرت على لسان الطرف الآخر.[1] إنَّ المتغيرات السياسية الدولية التي حصلت في المرحلة الراهنة ، وضعت العالم أمام تحولات أساسية ، وخصوصاً على صعيد الأيديولوجيات ، اثر تراجع الافكار الاشتراكية ، وبروز الاتجاه الحضاري الغربي . ومن هُنا ، ازدادت أهمية الحوار لإيضاح التوجّهات والقيم المعنوية المقابلة ، والسعي لتعميق المعرفة والاطلاع بين المجتمعات والأديان والقوميات .

إنّ مواجهة المشكلات الفكرية ، والتحديات والمخاطر القائمة ، تدفع باتجاه ايجاد الحلول الناجعة لها عبر الحوار الحقيقي المستند الى الركائز المشتركة والثقة المتبادلة وحسن النية .

ويُعدّ الحوار الطريق الأمثل لحلّ إشكالية تضادّ الأفكار وتصادمها . ويتخذ الحوار طرقاً وأساليب عدّة لتحقيق جملة من الأهداف في التقارب واحترام الآخر ، وتفعيل المصالح المشتركة وتنميتها.

ويمثل الحوار سبيلاً للتغلب على الحروب والتوترات ، وخصوصاً مشكلات الارهاب والعنف السياسي ، وايجاد الارضية الملائمة لتغيير القناعات الخاطئة. ان الحوار ليس ترفاً فكرياً بقدر ما هو شرط أساسي للديمقراطية ، فهو عامل اغناء للمجتمعات وسبيل للتقدم والرقي ، ووسيلة لحل المشكلات.

وليست فكرة الحوار وليدة اليوم ، وانما تمتد جذورها منذ بداية الخلق ، إذ يمثّل عنصراً ضرورياً للتعايش والتفاهم بين الأفراد .

لذلك ، تبحث هذه الدراسة عوامل ترسيخ ثقافة الحوار وسبل تكامل مقوماته ، وكيفية جعله ركيزة من ركائز الثقافة الاجتماعية ، لذا ، تُطرح هنا اشكالية بحثية تتمثل بالتساؤل عما يمكن أن تقدمه ثقافة الحوار من ايجابيات في محاولة اصلاح المجتمعات والتقارب بين المكونات؟ وبالتالي ما انعكاسات انقطاع الحوار على اسس بناء السلام في المجتمعات السياسية؟

أولاً : أهمية الحوار ودوره السياسي

إن ثقافة الحوار من أجل الانصاف هي الركيزة الأساسية لتحقيق العدل بما يتجاوز القانون المحض ويتجنب انزلاق التنازع إلى هاوية العنف المجتمعي .[٢] من هنا ، فإن كثيراً من الصراعات التي تؤدي إلى هدم القيم ، وتقويض المجتمعات ، ناشئ عن سوء الفهم بين البشر ، وعن سوء الافكار المسبقة ، وعن التجارب المتراكمة .

وهذا كله يقود إلى انعزال المجتمعات البشرية بعضها عن بعض ، وانكماشها ، بل انغلاقها على نفسها ، ما يؤدي بها الى نشوء افكار وتجارب ، وممارسات خاصة بها ، تعمق عزلتها ، وتقطع صلاتها بغيرها من المجتمعات . لذا ، لا بُدّ من وسيلة تكسر بها القوقعة التي يعيش بها هذا المجتمع أو ذاك واعادته إلى التفاعل والتمازج مع المجتمع البشري الواسع . والحوار هو الوسيلة الوحيدة ، فهو يساهم بدرجة كبيرة في التقارب بين الشعوب والامم وفي ازالة الحواجز النفسية والفكرية بين المجتمعات البشرية . [٣]

لذا ، فإن الحوار القائم على قاعدة الاحترام المتبادل والاعتراف بالمغايرة والتعددية الثقافية ، سيتغلب على المعوقات والصعوبات التي تحول دون قيام تفاهم وحوار دولي يكون جسراً تعبره المجتمعات الانسانية نحو آفاق الغد في ظلّ القيم المثلى ومعطياتها التي جاءت بها الأديان السماوية وارتكزت عليها القوانين الدولية.[٤]

إن خلق فضاء حواري يغير الوعي ويطور العرف ويسمح بتعديل السلوك وبناء التوافق ، وبقدر ما تعلو موجات العنف بقدر ما تدرك المجتمعات شدّة الحاجة للغة الحوار ، لأن ذلك هو شرط الحفاظ على الحد الأدنى من التمدن في مواجهة صيغ التوحش المتعددة والمتجددة.(٥)

ثانياً : انقطاع الحوار وعوائقه

يُلاحظ انه مع انقطاع الحوار ، تبرز التقاطعات البشرية كحقيقة ترتهنها النفوس الضيقة ، وكوسيلة لإيجاد حالة الصدام ، واثبات تسلطها وطغيانها على الآخرين. فمعظم الحروب الدامية والصراعات البشرية ما هي إلاّ نتيجة لانقطاع قنوات الحوار. ومن جانب آخر ، يشكل نقص المعلومات عن الآخر ، عقبة امام تفعيل الحوار ونجاحه ، لأن نقص المعلومات تجعل أحد الأطراف لا يعرف شيئاً عن الآخر ، وهذه الاشكالية تسبب سوء الفهم أو قلة العلم ، ما يقود إلى اعاقة الحوار المستمر من الانطلاقة الايجابية.(٦)

وعلى صعيد آخر ، فإنّ الصراع والعنف ليس خياراً امريكياً يمكن أن تبتعد عنه وقت تشاء ، بل ضرورة تفرضها تركيبة المجتمع الامريكي ومعتقداته التي بنيت عليها التجربة الحالية . والغاء الصراع الخارجي يعني زرع قنابل موقوتة في داخل المجتمع الامريكي ونظامه السياسي. لذلك ، فإن تبني الولايات المتحدة لسيناريو " صدام الحضارات " يأتي من كونه سيعطي الصراع الحقيقي في عالم اليوم ، والمتمثل في صورة صراع " الشمال مع الجنوب " ، الأمر الذي يقطع أمام دول الجنوب فرصة تقليل التفاوت مع دول الشمال الصناعية التي تقودها الولايات المتحدة.(٧) وهكذا نجد ان الحوار قد يكون عند بعض السياسيين بطريقة تلقائية رتيبة ، حيث لا يوجد لديهم رؤية واضحة ، ولا يدرون خلالها ما الأهداف ذات المدى البعيد التي يريدون الوصول إليها ، لذا فإن كثيراً من طروحاتهم الفكرية مبنية على خواطر مشتتة تطرأ على أذهانهم ، بل ان بعضهم لا يعطي لنفسه فرصة التفكير في برنامجه العملي .

لذلك ، فإن وضوح الأهداف يعين كثيراً في الاعتبار بالماضي واستبصار الحاضر واستشراف المستقبل ، ويدفع المحاور الى رسم أطر واضحة يعرف فيها بدقة : ما الموضوعات التي سوف يتحدث عنها ؟ وما القواعد التي يريد بناءها ؟ وما الأمراض الفكرية والمنهجية التي يقصد معالجتها؟ وما أنسب السبل لتحقيق ذلك؟.[٨]

ثالثاً : شروط الحوار وعوامل نجاحه ومقوماته

لا يفترض الحوار أن المشاركين فيه كتل متجانسة وثابتة ، بل يسعى إلى إظهار التنوع داخل الكتل المفترضة ، ما يؤدي إلى ألوان من التقارب العابرة للمجموعات التي تشكلها الخيارات المسبقة . ويسعى الحوار إلى التحرر من علاقات القوى ، السياسية والفكرية الخارجة عنه ، فلا يكون تفاوضاً بين من يحسبون أنفسهم ، أطرافاً أقوياء بحجة سعة تمثيلهم أو نتيجة لتمسكهم بمواقفهم . من هُنا ، يشترط نجاح الحوار ضمان مشاركة الجميع فيه دون استثناء ويستدعي اشراك من يميلون إلى مشاركة محدودة أو الذين تحرجهم مواقف سواهم.[٩] إلى ذلك ، تعدّ اللغة وسيلة من وسائل الاتصال ، وان الإلمام بها يفسح المجال أمام الحوار المتكافئ بصورة ندية ، إذ ان اتقان لغة المقابل وسيلة تقرّب المتحاورين بعضهم من بعض ، وتسهم في كسر الحاجز النفسي بين المتحاورين ، وتوجد حالة من الالفة والتقبل للآخر.

وان تعلم لغة شعب تعني فهم ثقافته وتاريخه ونظرته للحياة كما يعني أيضاً (في حالة كونه عدواً) التعرّف على نقاط ضعفه وكيفية استغلالها وتوظيفها في المعركة ضدّه وكذلك توقي شرّه ، وكما قيل : من تعلم لغة قوم أمن مكرهم. [١٠]

ومن جانب آخر ، فإن الحوار لا يكون عامل تنشيط حضاري ومواكبة حقيقية للتقدم الاّ إذا كان منظماً ومستمراً ، وتسهر عليه مؤسسات قوية متناغمة مع المجتمع ، ويتمتع المشتغلون فيها بقدرة كبيرة على التمثل والاستيعاب والنقد والتعديل وتحقيق التجانس مع ثقافة مجتمعهم وقيمه. [١١]

ومن شروط الحوار ، الانطلاق من اعتراف كل طرف بالآخر ، والبدء بالاستعداد النفسي للانفتاح عليه بتسامح ، أي : بقبوله كما هو . ثم البحث أثناء الحوار عن مواطن الاتفاق ، والبعد عن مواطن الاختلاف . وقاعدة الحوار تتمثل في المعادلة التالية :

– ما تريد أن يعرفه عنك الآخر ، فأعرفه أنت عنه .

– ما تريد أن يفعله معك الآخر ، فافعله أنت معه . ويقصد بالآخر من يؤمن بعقيدة غير عقيدتك . (١٢)

لذا ، فإن بدء الحوار بمواطن الاتفاق طريق الى كسب الثقة وافشاء روح التفاهم ، ما يفتح آفاقاً من التلاقي والاقبال . أما الحوارات التي تبدأ بمناقشة نقاط الاختلاف والتوتر ، أو ما يسمىّ بالنقاط الساخنة حوارات كتبت على نفسها الفشل سلفاً . على أن الحوار يبدأ من المشترك ليعالج المختلف فيه دون الاكتفاء بالمشتركات ، وإلاّ كان ترسيخ مبادئ متفق عليها وأغلب هذا يقع في الحواريات التي تعتمد المجاملة. (١٣) لذلك ، فالاستماع إلى الآخر واعطاؤه فرصة الحديث عن نفسه بالاعلام ، ومن دون التخوف من أن يكون ذلك جزءاً من الترويج للأفكار الخاطئة ، بل لعل ما يرتكز في الأذهان من فكر عن الآخر هو المنحرف وسيصحح بحديثه عن نفسه . وينبغي ، كذلك ، تنقية الاعلام الديني من الازدواجية التي تحكمه ، إذ يكون الاعلام الديني الداخلي يتسم بالتطرف والتعصب الديني والمذهبي ، وفي الوقت نفسه يكون اعلامه الخارجي داعياً للانفتاح على الآخر واحترامه ، ما يفقد ذلك الاعلام مصداقيته وتأثيره في المتلقي. (١٤)

وقد أثبتت التجارب والخبرات ان القدرة على الاستماع أداة رئيسة للوصول إلى تفاهم مثمر خاصة في مراحل النزاع ، وأن تؤدي دوراً كبيراً في تخفيف التوتر والانفعال ، حيث إن بعض من لا يستمع الى الآخرين يعاني من أزمات كثيرة

وخسائر كبيرة في النتائج ، لأن من يستمع بانتباه إلى محدّثه محاولاً فهمه وفهم حاجاته سيكون أبعد من الخطأ في التقييم والانصاف. (١٥)

ومن مقومات الحوار الفعال، تبادل الزيارات ، إذ ان التعرف على الآخر لا يتم بالقراءة عنه وحدها ، وانما تتعمق المعرفة بالمعايشة والتواصل ، لأن الواقع الملموس ابلغ من التنظير . فالمعرفة تقتضي الاحتكاك بالآخر للتعرف عليه عن قرب وللإلمام بكل مكوناته الثقافية ، والاجتماعية ، والبيئية عليه فإن من وسائل ترسيخ ثقافة الحوار تبادل الزيارات والدخول في المجتمع المعني لمعرفة القواعد التي يقوم عليها ، والنظم التي يدير بها اموره. (١٦)

ومن هُنا ، تعدّ مقومات الحوار احدى المناهج الأساسية التي تسهم اسهاماً إيجابياً في إنجاح مضامينه من أجل نشدان الموضوعية ، وتحقيق الهدف المبتغى بين طرفي الحوار ، يقوم على احترام الكرامة الإنسانية وانتفاء الأنانية ، وابتغاء الحقيقة والسعي إليها إلى جانب الفهم المتبادل والرغبة الصادقة والتسليم بحق كل طرف في أن يكون مفهوماً من الطرف الآخر دون أي لون من الوان التشويه أو التزييف أو العمل على الغاء الآخر واستبعاده ونفيه .(١٧)

رابعاً : الأهداف السياسية للحوار

إن اضطراب النظم السياسية في مناطق مختلفة من العالم ، وتغيير الهيكلية السياسية في الوظائف والمسؤوليات وكذلك اندلاع الحروب والأزمات التي لها جذور في بعض اهواء حكام العالم وزعمائه ، إذ يلجأ بعضهم إلى الحرب لإخضاع الخصم ، أو لاثبات وجوده ، وما اكثر الفئات التي تتصارع لأسباب واهية ، ما يدعو إلى التصالح وتطوير آليات الحوار وازالة عوامل الفرقة وتطوير التعاون.(١٨)

ويشير باري بوزان Barry Buzan ، استاذ العلاقات الدولية والدراسات الاستراتيجية في بريطانيا ، إلى أن الأمن العالمي في القرن الحادي والعشرين ، سيكون محكوماً بما يسمى بـ" صراع الهويات الحضارية " ، ويشخصه بالحرب

الباردة الاجتماعية ، بين الغرب وبين الاسلام ، حيث ان مصادر تهديد أمن المركز (الغرب) وهويته وحضارته هما :

١- الهجرة من الجنوب (المسلم) الى الشمال (الغرب) .

٢- التصادم بين الهويات الحضارية المتنافسة ، وان الهوية المرشحة للتصادم مع الغرب هي الهوية الحضارية الاسلامية لأسباب ترجع الى :

- الجوار الجغرافي.
- التنافس التاريخي .
- اختلاف نظام القيم . (١٩)

و ثمة فئة في المجتمع ، تتصف بالغلو في الافكار ، والتطرف في السلوك ، وهم المتطرفون الذين في ازدياد ، لذلك ينبغي اقامة الحوار البنّاء مع المتطرفين وفق ضوابط عدّة :

- أن يكون مبنياً على الثقة ، فيكون المناقش والمحاور محل ثقة المتهمين بالتطرف .
- أن يُعامل المتهمون بالتطرف على انهم متهمون ، لا انهم مدانون يقفون في ساحة محكمة.
- ان يكون القصد من الحوار البحث عن الحق ، وليس جمع أدلة لإدانة المتهمين بالتطرف. (٢٠)

ووفقاً لما سبق ، فإنّ الحوار مع المتطرفين يمكن أن يدفعهم لتغيير مواقفهم والتخلي عن قناعاتهم السابقة ، فيصبحوا معتدلين في توجهاتهم وسلوكياتهم ، فيحقّق الحوار معهم نتائج ايجابية ومثمرة.

لذلك ، فإنَّ المنطلقات الايجابية للمغايرة والاعتراف بها واحترامها ، ستنطلق بالمتحاورين إلى آفاق رحبة وايجابية ، شرط أن يتحقق الاعتراف بوجود الآخر واحترامه وقبوله ، والاقرار له بحقّ الحياة بل والتعايش معه ، ومشاركته في

صناعة الحاضر والمستقبل في اطارٍ من القواعد والمعادلات التي يتفق عليها الطرفان. (٢١)

الخاتمة

ان الحوار لا يمكن ان يؤدي وظيفته التاريخية في اثراء التجارب الانسانية ، وفي الاستفادة من الخبرات المتنوعة للشعوب الاّ إذا تمت ممارسته في اطار منهج سليم . واهم عناصر هذا المنهج امور ثلاثة :

اولها : الاتفاق على ان الغرض من وراء الحوار ليس في اقناع الآخرين بالتخلي عن انتمائهم الحضاري وخصوصيتهم الثقافية والدخول في حضارة اخرى .

وثانيها : التسليم بأن التعددية الثقافية جزء من نظام الكون وسنة من السنن التي أودعها في البشر.

وثالث هذا المبادئ : التوجّه إلى البحث عن المشترك الجامع بين الحضارات المعاصرة. (٢٢)

ونخلص إلى القول انه لا بُدّ من الاعتراف بواقع الاختلاف وبالحقّ في الاختلاف ، لكي يصل المتحاورون إلى إزالة الالتباسات والافكار الخاطئة لدى كل من الطرفين حول عقائد الطرف الآخر ، وذلك بغية التوصل إلى تعايش اخوي واحترام متبادل .

لذلك ، لا بُدّ من التركيز على الأمور المشتركة بين أفرقاء الحوار ونقاط التلاقي وتعزيز التفاهم في مختلف مجالات الحياة الثقافية والسياسية والاقتصادية.

الهوامش والمصادر

[1] د.عادل نور الدين ، حوار أم جدل دراسة مصطلحية لمفهومي الحوار والجدل ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤٢٧هـ ، ص١٦.

٢- محمد البهاوي ، العدالة والعنف : نصوص فلسفية مختارة ، افريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، ٢٠١٣ ، ص٨٦.
[٣]- حسن بحر العلوم ، الحوار بين التأصيل والتنظير ، العارف للمطبوعات ، بيروت ، ٢٠١٤، ص٢٠٤.
[٤]- د.عبدالعزيز التويجري وآخرون ، حوار الحضارات تواصل لا صراع ، ندوة عقدتها الجامعة العربية ، فبراير ٢٠٠٢، ص١١٥.
[٥]- د.هبة عزت " مناهج الحوار وغاياته في الانصاف والانتصاف " ، في : مجلة التفاهم ، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية ، سلطنة عمان ، السنة ١٢ ، خريف ٢٠١٤، ص٥٢.
[٦]- عبدالله العليان ، حوار الحضارات ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٤، ص١١٢.
[٧]- د.صبري البياتي وآخرون ، صدام الحضارات ، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق ، بيروت ، ١٩٩٩، ص٤٢٩.
[٨]- احمد الصويان ، الحوار أصوله وآدابه السلوكية ، دار الوطن ، الرياض، ٢٠٠٥، ص٨٩.
[٩]- د.سعود المولى ، في الحوار والمواطنة والدولة المدنية ، دار المنهل اللبناني ، بيروت ، ٢٠١٢، ص١٤.
[١٠]- د.فراس ابراهيم ، وآخرون ، الخطاب الإسلامي في عصر الأعلام والمعلوماتية ، دار النفائس ، عمان ، ٢٠١٠ ، ص٣٧.
[١١]- د.محمد بوهلال ، " مقولة حوار الحضارات في التجربة التاريخية الاسلامية " ، في : مجلة التفاهم ، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية ، سلطنة عمان ، السنة ١٢، العدد ٤٦، خريف ٢٠١٤، ص٢١٧.
[١٢]- هشام الهاشمي ، التطرف أسبابه وعلاجه ، دار ومكتبة عدنان ، بغداد ، ٢٠١٦، ص٢٧.
[١٣]- د.طه الزيدي ، " الخطاب السياسي الاسلامي في الحوارات الاعلامية " ، في : الخطاب الاسلامي في عصر الاعلام والمعلوماتية ، دار النفائس ، عمان ، ٢٠١٠، ص١١٤.

[١٤]- د.نور الساعدي ، أثر النص القرآني في التعددية الدينية ، دار الرافدين ، بيروت ، ٢٠١٧، ص٢٧٨.

[١٥]- فاضل الصفار ، " تقنيات الحوار البنّاء والتفاهم المستمر " ، مجلة النبأ ، بيروت ، العدد ٣٤، السنة الخامسة ، ربيع الثاني ، ١٤٢٠هـ ، ص٧.

[١٦]- عبدالمحمود أبو ، الحوار في ٱلإسلام حقائق ونتائج ، دار الرافدين ، بيروت ، ٢٠١٦، ص٢١١.

[١٧]- د.محمد زقزوق ، الاسلام والغرب ، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٤، ص٧٩.

[١٨]- د.علي القائمي ، حوار الحضارات في المنظار الاسلامي ، مكتبة فخراوي ، البحرين ، ٢٠٠٢، ص٢١٨.

[١٩]- Buzan , Barry , " New Patterns of Global Security on the Twenty First Century " , International affairs , ٦٧(٣) , ١٩٩١, P.٤٥١.

[٢٠]- د.سفير الجراد ، ظاهرة التطرف الديني الواقع والتطبيق، دار العصماء ، دمشق ، ٢٠١٤، ص٥٢٥.

[٢١]- غريغوار منصور وآخرون ، نحن والاخر حوارات القرن الجديد ، دار الفكر ، دمشق ، ٢٠٠١، ص١٢١.

[٢٢]- د.أحمد ابو المجد ، " حوار في دافوس حول الحضارة الغربية والحضارة الاسلامية " ، جريدة الخليج ، الشارقة ، العدد ٧٥٧٩، بتاريخ ٧ مارس ٢٠٠٠، ص١٨.